تقنيات الكتابة للقصة الموجهة للأطفال
(المرحلة المبكرة، المتوسطة، المتأخرة)

الأستاذة: سميحة خليفي

توطئـة :

يهدف أدب الطفل [*] إلى تنشئة جيل سليم، واع ، متميز ، قادر على تحمل المسؤولية ، يعول عليه في التنمية الشاملة و النهوض بأمّته إلى مصاف الدول الرائدة.

ولتحقيق ذلك تسعى بعض المؤسسات الإنتاجية و التربوية في العالم العربي جاهدة لتوفير المادة الخادمة للطفل عبر أشكال التعبير الأدبية خاصة السردية منها، وفق معايير و تقنيات لغوية و فنية و سيكولوجية مشروطة.

و لكن رغم هذا كله تبقى المفارقة كبيرة بين الواقع و المأمول ...؟

لذا سنحاول - من خلال هذه المداخلة - التعرف على تقنيات الكتابة للقصة الموجهة للطفل،

و ذلك بالوقوف على أهم سماتها العامة في التطرق إلى :

أ – شروط الكاتب :

يتفق المتخصصون في مجال أدب الطفل على شروط معينة تستوجب توفرها في كتابة القصة، نستطيع إجمالها في النقاط التالية:

- الكتابة للأطفال تحتاج إلى جانب الموهبة الحقيقية الصادقة إلى تخصص و ممارسة.
- دراسات متعمقة في اللغة من زوايا معينة.
- دراسات أخرى في أصول التربية و علم النفس.
- المعرفة بمراحل نمو الأطفال و خصائصها المميزة.
- معرفة بالقواعد السليمة للكتابة الأدبية الفنية في القصة .
- خبرات عملية في دنيا الأطفال.
- إحساس فني تربوي مرهف بما يمكن أن تتركه الكتابة في نفوسهم من انطباعات دقيقة[1] .

و على ضوء هذه النقاط، نستطيع القول أنّ كاتب القصة لابدّ أن يكون لديه إلمام كلي بعالم الطفولة من كل الجوانب التربوية ، اللغوية ، الفنية ، السيكولوجية ، و قد ارتكز **أحمد مبارك سالم** على هذه الأخيرة في كتابة **"أدب الطفل المسلم "** حيث يرى أنّ " الكاتب أو السارد الذي يتجه بخطابه للطفل لا ينبغي عليه أن يهمل هذه الاعتبارات السيكولوجية ، فالكتابة للطفل تتطلب معرفة دقيقة بالطفولة و ملابساتها المختلفة و مستوياتها المتعددة فنية ، نفسية ، تربوية ، فالإبداع في المجال القصصي لا يعفي الكاتب من الإطلاع على قضايا النفس و التربية المتعلقة بهذا المتلقي" [2] .

وأمّا بخصوص الأسلوب ، ف"الكاتب الناجح هو الذي يتجنب غريب الألفاظ و مجاز الأسلوب و تعقيده و يجعل جمله قصيرة بحيث تدع الفرصة للقارئ و السامع كي يدرك الحوادث و يتخيلها و يختار من الألفاظ ما يثير المعاني الحسية دون مبالغة أو إسراف في الزركشة و التفصيل، و من الضروري لراوي القصة كذلك أن يجعل لغته و أسلوبه اللذين يسرد بهما القصة مناسبين لقدرة السامعين اللغوية، وعليه أن يغيّر من أسلوب القصة و أن يبسطه إذا كان أعلى من مستوى جمهور السامعين [3] .

ب – مراحل النمو الأدبي عند الأطفال و علاقتها بخصائصهم النفسية .

اختلف الباحثون المتخصصون في أدب الطفل حول تقسيمات موحدة لمراحل النمو عند الأطفال ، كما لم يتفقوا على بداياتها و نهايتها ، فعلى سبيل المثال بدأ **سعد أبو الرضا** في كتابه **النص الأدبي للأطفال** بالمرحلة الأولى (مرحلة المناغاة) و أتمّها بالمرحلة المتأخرة ، بينما أسقط **أحمد نجيب** في كتابه **أدب الأطفال علم وفن** المرحلة الأولى ، وأضاف مرحلتين أخريين (مرحلة اليقظة الجنسية، مرحلة المثل العليا) .

أ. المرحلة الأولى (من سنة إلى 3سنوات)

يطلق عليها **بمرحلة المناغاة**، و تعتبر - حسب رأينا - من أهم المراحل؛ إذ تحدّد النمو السليم للطفل عن طريق الاستجابة و ردّ الفعل، فهي " أول قصة في حياة الطفل و هو يدخل عالم الكلام ، و برغم أنه لا يفهم كلمة منها ، لكنه يستجيب لنغمات كلمات أمه القصيرة المفرحة لعبا بأطرافه ... و بعد أن تمر السنة الثانية تكون قد نمت قدرته على الاستماع، و الربط بين بعض الأصوات

و الأفكار و المعاني التي تتمشى معها ... و في هذه المرحلة تبدأ اللغة في النمو ، كما تنمو حواسه وتتطور حركاته [4]

و بهذا يكون قد كوّن قاموسه اللغوي بعدد قليل من الكلمات " غلب على استخداماته استعمال الأسماء في مقابل ضعف استخدام الأفعال و الحروف و الأدوات بصفة عامة ، و بانتهاء هذه المرحلة يدخل الطفل تدريجيا مرحلة الجملة القصيرة و فيها يستطيع تكوين جمل قصيرة تتكون من 3 إلى 5 كلمات و هي جمل في مجملها بسيطة غير معقدة "[5].

ب. المرحلة المبكرة (من 3 إلى 6 سنوات)

يطلق عليها أحمد نجيب بمرحلة الخيال الإيهامي ، حيث يبطئ فيها النمو الجسمي بعض الشيء، بعد أن كان متميزا بالسرعة الواضحة في الأعوام الأولى من حياة الطفل بعد الميلاد ، و يفسح المجال للنمو العقلي الذي يسرع و يتزايد ...وفي هذه المرحلة يكون خيال الطفل حادّا ، و إن كان محدودا بما في بيئته المحيطة به ، و قوة الخيال هذه تجعله يتخيل الكرسي قطارا، و العصا حيوانا، و الوسادة كائنا حيا يتبادل معه الأحاديث [6].

و في هذه المرحلة أيضا يتسع إدراكه للمكان الذي يربطه به حيث" تدل الدراسات النفسية على أنّ الطفل فيما بين الثانية و الثالثة من عمره لا يدرك من حاجاته و رغباته، وأنّه فيما بين الثالثة و الرابعة من عمره يدرك العلاقات المكانية الذاتية أي علاقاته بها و علاقاتها به .. و أنّه بعد أن يتجاوز الرابعة من عمره يدرك العلاقات المكانية الموضوعية المحيطة ، به ثم يسعى بعد ذلك ليكيّف نفسه لهذا الإدراك الجديد [7].

و يستطيع الطفل في هذا العمر أيضا " تركيب جمل تتكون من 6-8 كلمات ، و هي تتميز بقدر أكبر من التحديد و التعقيد... قد تثير ضحك الكبار مثل صياغة الجموع صياغة خاطئة ؛ فيجمع كلب مثل أكلبة بدلا من كلاب [8]، و أمثلة أخرى كثيرة مقتبسة من قاموس الطبيعة و مفرداتها ، وما يحيط به من عالمه المحدود ، و في هذا السياق يرى سرجيو سبيني أنَّ " الحيوان يمثل بالنسبة للطفل حلقة الوصل بين الجمادات الصادقة، و بين الأشخاص الناطقين "الأذكياء " كما أنه أول عنصر يستخدمه في ألعابه [9]، كما يقدّم سيرجيو سبيني في كتابه (التربية اللغوية للطفل) أفكارًا و نصائح للأولياء ، و المدرّسين في كيفية اختيار القصص الموجهة لأطفال هذه المرحلة، فيقول مثلا

" عند اختيار كتب الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث و أربع سنوات ، علينا أن نضع نصب أعيننا أنَّ مهمة هذه الكتب هي تقوية فهم الطفل و إدراكه و تقويم عالمه المحسوس بين يديه، ولم تكن مهمتنا أبدًا حشور رأسه بمعلومات جديدة عليه " [10].

ج – مرحلة الطفولة المتوسطة (تمتد من 7 إلى9 سنوات)

تشمل هذه المرحلة الصف الثاني و الثالث و الرابع ، "وفيها يكون الطفل قد ألمَّ بكثير من الخبرات المتعلقة ببيئته المحدودة ، و بدأ يتطلع بخياله إلى عوالم أخرى تعيش فيها الحوريات الجميلة و الملائكة و العمالقة و الأقزام في بلاد السحر و العجائب [11]. و مازال شغوفا بقراءة و سماع قصص الحيوانات إلاَّ أنَّ تفكيره متطورًا نوعا ما، فابتعد عن التوهم، و أصبح أكثر فهما للواقع و "بدلا من أن يتخيل العصا حصانا فإنه يود أن يركب الحصان الحقيقي ، و الأطفال في هذه المرحلة لا يكونون قد عرفوا معنى الأخلاق الفاضلة و كنه المعايير الاجتماعية التي يدركها الكبار و إنما سلوكهم مدفوعا بميولهم و غرائزهم ...و المواعظ و الأوامر لا تجدي كثيرا في توجيه الأطفال إلى سلوك معين ، و إنما يأتي هذا باستغلال ميولهم إلى اللعب و التقليد و التمثيل [12].

لهذا يرى سعد أبو الرضا أنَّ " كلما كانت القصة ممثلة كانت أكثر جذبا لهم . و بالرغم تقبلهم لبعض القصص التاريخية لكنهم قد لا يدركون الفهم الدقيق للتسلسل الزمني إلاَّ في نهاية هذه المرحلة ، برغم إدراكهم للمواقف المتناقضة و المتباينة " [13].

و يميل الطفل في هذه المرحلة خاصة في الصف الثالث و الرابع إلى قراءة القصص الاجتماعية ، التي تشبع لديه حب العدل و تطبيق القوانين كما تزداد حساسيتهم للنقد، مما يجعلهم يقبلون على القصص التي يعاقب فيها المذنب و يثاب المحسن، كما يقوي اتصاله بالرفاق في جماعات اللعب أو العمل تأكيدا لذاته.[14]

و تتضح الرؤية لدى الطفل حول العالم المحيط به ، "لهذا يطالب في هذه الفترة من السن بالقصص الواقعية (قصة علي بن أبي طالب) أو سير الأنبياء، كما يطالب أيضا بقصص المغامرات، و في الوا قع نجد أن الطفل بحاجة إلى النوعين معًا (الخيالي و الواقعي) و هو يستطيع أن يفرق بين ما هو خيال و ما هو واقع.[15]

د – المرحلة المتأخرة (تمتد من10 سنوات إلى 13 سنة)

و تسمى أيضا بمرحلة **المغامرة و البطولة** "ومن الميول القوية التي تظهر في هذه الفترة ، الميل إلى الجمع و الادخار و الاقتناء... وقلما نجد طفلاً في هذه السن إلاَّ و هو مغرم بأن يملأ جيوبه بأشياء مختلفة مثل طوابع البريد و الحصى و غير هذا ...و هو في أول أمره يجمع كل هذه الأشياء و غيرها بصرف النظر عما لها من قيمة و فائدة ، و دون أن يعني حتى بترتيبها أو تنظيمها ثم في أواخر هذه المرحلة يتجه إلى الاهتمام بجمع الأشياء ذات الفائدة مع العناية بتنظيمها" [16].

و يصبح الطفل في هذه المرحلة أكثر اعتمادا على نفسه ، "يكون أكثر خروجا عن خط الأسرة .. كما يوسِّع من علاقاته و انتماءاته، و من ثم فهو بحاجة إلى أدب يزوده بالفهم السليم للعلاقات الأسرية، و متغيراتها ، كما يساعده على اختيار القدوة و المثل الأعلى و اختيار الرفيق المثالي تعويضا عن ابتعاده عن والديه، و تأكيدا لاعتماده على نفسه، و إثباته لذاته".[17]

و يميل الطفل في هذه المرحلة إلى الاستكشاف و الإطلاع و "المغامرة و البطولة و المنافسة و الشجاعة و لذلك فهو بحاجة إلى أدب يشبع هذه الميول كالقصة البوليسية و قصص الحروب و المخاطرات و المغامرات لكنها يجب أن تكون ذات أهداف إنسانية و قيم شريفة تزكي إحساسه بالأخلاق و تعينه على التوافق مع بيئته و مجتمعه و أمته" [18].

و بناء على ما سبق، يمكننا أن نحدد أهم المعايير التي يمكن على ضوئها اختيار القصة المناسبة للطفل عبر مراحل نموه .

1. معايير القصة الموجهة لأطفال المرحلة المبكرة

لغـة :

– إنَّ "التركيب اللغوي الذي يستعمله الكاتب البارع في كتابته للأطفال لابدَّ وأن يعكس المواقف والبيئة الزمنية والمكانية للقصة وتتغير نماذجه اللغوية مع تغير الموقف و الأحداث، فالجمل القصيرة الموسيقية تساعد على خلق شعور الإثارة و الانفعال "[19]

– و هي تناسب هذه المرحلة .

- يجب" أن تتماشى اللغة المستخدمة مع قاموس الطفل اللغوي ، و أن يكون في مقدوره فهمها و إدراك معانيها ، و رموزها، وأن تكون تراكيبها اللغوية سهلة، والنسيج اللفظي بسيطا خاليا من الزخارف البيانية ، بعيدا عن السذاجة و السطحية [20].
- على الكاتب أن يستعمل التكرار للتأكيد " فنقول : فيها أشجار عالية عالية بدلا من كتابتها فيها أشجار عالية جدا. [21]

المضمون :

- تتضمن القصة حكاية عن الحيوان أو عن البيئة المحيطة بالطفل (الأم ، الأب، المدرسة ، الوطن ، ...) ، وبالنسبة "للقصص التي تقوم على شخصيات من الحيوانات و الطيور يجب أن يكون مفهوم الرمز واضحا بوضوح العلاقة بين هذه الحيوانات و الطيور ، حتى لا ينسى الأطفال المرموز إليه أو العكس" [22]
- الاعتماد على " الحدث الواضح البسيط ، البعيد عن التركيب ، فيكفي أن يكون الحدث مبنيا على علاقة واحدة حتى يتمكن أطفال هذه المرحلة السنية من استيعاب القصة و متابعتها ، ففكرة " ردّ الجمل " في قصة (الكلب و الحمامة) لأحمد شوقي قد تكون غير ملائمة بهذه الصورة لهذه السن ، نظرًا لأنَّ الحدث فيها يتكون من علاقتين ، الأولى بين الحمامة و الكلب عندما أيقظته من نومه قبل مهاجمته الثعبان له ، و العلاقة الثانية في رد الكلب الجميل لها بنباحه عندما رأت الصياد قادما ، فالحدث بهذا التعقيد قد يكون أنسب لأطفال المرحلة المتوسطة [23] .
- هناك شرط أساسي للقصة الموجهة لأطفال هذه المرحلة و هو "أن تنتهي القصة نهاية سعيدة عادلة تكافئ الخير و تعاقب الشرير [24] " و هذا ما سيحقق التوازن النفسي لدى الطفل
- و اكتسابه الثقة بنفسه و بالآخرين.

الإخراج الفني :

- تأخذ الصورة في القصة المساحة الكبيرة مقابل كلمات بسيطة ، بحيث توزّع على شكل منتظم "و مراعاة أن تكون مصاحبة للكلام المتصل بها ... و أماكنها من الكتاب حتى لا تتكدس في بعض الصفحات بينما تفتقر إليها صفحات أخرى"[25].
- بند الكتابة كبير و متنوع " و الأطفال يحتاجون في بمراحل أعمارهم الأولى إلى خط كبير و مساحات واسعة من الرسم [26].
- تكون ألوان الرسوم و الصور ألوانا مناسبة و هي الألوان الأساسية (الأحمر ، الأصفر ، الأزرق) .

المرحلة المتوسطة

لغـة :

- يتسع القاموس اللغوي لدى الطفل في هذه المرحلة و يكتسب مهارات لغوية جديدة لذلك يمكن المراوحة بين الخبر و الإنشاء "تراعي في العبارات المستعملة أن تكون بسيطة و سهلة".[27]
- قلة الاستطراد في عرض الأحداث.

مضمومـا :

- تتضمن القصة حكاية عن الواقع القريب من الطفل ، أو بعض الأساطير كقصص كليلة و دمنة و بعض قصص ألف ليلة و ليلة.
- الاعتماد على حدثين و فكرتين في موضوع واحد.
- الابتعاد عن أسلوب الوعظ و الإرشاد .

الإخراج الفني :

- يعادل حجم الصورة مساحة الكتابة حيث "تقدم له قصة كاملة موضحة بالرسوم تساهم فيها الكتابة بدور رئيسي لأن الطفل في هذه المرحلة يجيد القراءة و الكتابة "[28] .
- خط النسخ متنوع و متوسط .
- الألوان الأساسية و الألوان الثانوية .
- استخدام عناوين جانبية.

المرحلة المتأخرة

لغـة :

- التعبيرات المجازية البسيطة من المحسنات البديعية .
- تنويع الضمائر و الأزمنة .
- "الجمل الطويلة الشاملة تناسب الحدث الأكثر تعقيدًا، وبالتالي تناسب الأطفال الأكبر سنًّا."[29]

مضمونا :

- تتضمن القصة المغامرات السريعة المثيرة و الوصف الدقيق للأحداث و الأمكنة و الأشخاص و توظيف الخيال العلمي .
- مزج الخيال بالواقع .
- إثارة التفكير و التأمل و دوران الصراع بين الحب و والواجب .

الإخراج :

- قصة مكتوبة دون الحاجة إلى رسومات.
- تكتب القصة بخط النسخ الصغير.
- عدد الصفحات أكثر من مئة صفحة.
- يمكن وضع فهرس عام للكتاب.
- استخدام الهوامش للتفسير و التعليل.

ونخلص في نهاية هذه الدراسة المتواضعة إلى أن الكتابة القصصية الموجهة للأطفال المبنية على أسس علمية ، والتي تحقق المتعة والفائدة معًا، تتطلب معايير فنية ، و لغوية ، و سيكولوجية مشروطة ، جزء منها يتعلق بالكاتب و جزء آخر بشكل و مضمون القصة ، و جزء ثالث يتعلق بالمتلقي ، لتفادي الأخطاء و الأزمات الحاصلة في الوقت الراهن يتوجب إقامة جهاز رصد يراقب كل ما يكتب للطفل الذي هو مشروع رجل الغد .

المراجع و المصادر:

(*) جنس أدبي مستحدث نشأ ليخاطب عقلية و إدراك شريحة عمرية لها حجمها العددي الهائل في صفوف أي مجتمع ، فهو أدب مرحلة من حياة الكائن البشري لها خصوصياتها و عقليتها و إدراكها و أساليب تثقيفها في ضوء مفهوم التربية الوجدانية التي تستعين بمجالي الشعر و النثر (أحمد زلط : أب الطفولة أصوله ، مفاهيمه ، رواده، الشركة العربية للنشر و التوزيع ، ط2، المهندسين، مصر 1994، ص 39) .

(1) أحمد نجيب : أدب الأطفال علم و فن ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1891، ص12)

(2) أحمد مبارك سالم : أدب الطفل المسلم ، خصوصية التخطيط و الإبداع ، روافد للنشر و التوزيع، ط1، الكويت 2014، ص 157.

(3) نقلا عن علي الحديدي : في أدب الأطفال ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط4، مصر ، 1988، ص 78.

(4) سعد أبو الرضا : النص الأدبي للأطفال أهدافه و مصادره و سماته (رؤية إسلامية) مركز الدلتا للطباعة ، مصر 1990، ص 26-27.

(5) شاكر عبد العظيم : لغة الطفل ، شركة سفير للنشر و التوزيع ، المهندسين، مصر 1992، ص48.

(6) أحمد نجيب : أدب الأطفال ، علم و فن ، ص 38.

[7] نقلا عن العيد جلولي : جماليات المكان في الخطاب السردي الموجه للأطفال ، الملتقى الدولي في تحليل الخطاب يومي 11 إلى 13 مارس 2003، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، ص 157.

[8] شاكر عبد العظيم : لغة الطفل ، ص48.

[9] سيرجيو سبيني : التربية اللغوية للطفل ، ترجمة فوزي عيسى و عبد الفتاح حسن، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر 2001، ص 146.

[10] المرجع نفسه ، ص 142.

[11] أحمد نجيب : أدب الأطفال ، علم و فن ، ص 40.

[12] المرجع نفسه ، ص 41.

[13] سعد أبو الرضا : النص الأدبي للأطفال ، ص 32

[14] المرجع نفسه و الصفحة نفسها .

[15] محمد السيد حلاوة : الأدب القصصي للطفل (مضمون اجتماعي نفسي) سلسلة الرعاية الثقافية للطفل (الكتاب الثاني) مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية ، مصر 2000، ص58.

[16] أحمد نجيب : أدب الأطفال علم و فن ، ص 41.

[17] سعد أبو الرضا : النص الأدبي للأطفال ، ص 32.

[18] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[19] علي الحديدي : في أدب الأطفال ، ص 131.

[20] محمد السيد حلاوة : الأدب القصصي للطفل ، ص 68.

[21] أحمد نجيب : أدب الأطفال علم و فن ، ص 59.

[22] سعد أبو الرضا : النص الأدبي للأطفال ، ص 123.

[23] المرجع نفسه ، ص 28.

[24] محمد السيد حلاوة : الأدب القصصي للطفل ، ص 66.

[25] أحمد نجيب : أدب الأطفال علم و فن ، ص 160.

[26] المرجع نفسه ، ص 162.

[27] أحمد نجيب : أدب الأطفال ، علم و فن ، ص 47.

[28] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[29] علي الحديدي: في أدب الأطفال، ص131.